مظاهر التسامح الإسلامي مع غير المسلمين:
دراسة تحليلية

Islamic Tolerance with non-Muslims: An Analytical Study

Toleransi Islam Dengan Bukan Islam: Satu Kajian Analitikal

زانا محمد أمين سعي*، مازية مصطفى**، ونور أمالي محمد داود***

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى بيان مظاهر التسامح الإسلامي مع غير المسلمين، وذلك باستخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي، حيث قام الباحث باستقراء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، وتفسيرها، وتحليلها وفقًا للتفاسير المعتبرة وأقوال العلماء الراسخين في هذا المجال، وإجلاء وجه التسامح فيها، وقد توصل الباحث إلى أن المظاهر الرئيسة للتسامح الإسلامي مع غير المسلمين هي مجموعة من المبادئ المقررة في الشريعة، وهي حرية العقيدة، والوسطية، وإلغاء الطبقية والعنصرية، والرحمة الواسعة، والوفاء بالعهود والمواثيق، والمعايشة، والهداية، فيتطرق البحث إلى هذه المباديء وكيفية علاقتها بالتسامح مع غير المسلمين.

---

* طالب دكتوراه في قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

** الأستاذة المساعدة بقسم أصول الدين ومقارنة الأديان، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

*** الأستاذ المساعد بقسم أصول الدين ومقارنة الاديان، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الكلمات المفتاحية: التسامح، غير المسلمين، الحرية، الرحمة، التعايش.

Abstract

This research strives to explore various forms of Islamic tolerance with non-Muslims. The researcher employed inductive and analytical methods to look into the Qur'anic verses, authentic Prophetic traditions, commentaries and views of erudite scholars in the field to unveil aspects of tolerance. The study found that the tolerance with non-Muslims in Islam is based on a set of principles endorsed by the *Sharīʿah*. The principles are: Freedom of religion, moderation, abolition of caste systems and racism, comprehensive compassion, fulfilment of covenants and treaties, and coexistence and guidance. These principles are explained in detail the paper. And how these principles are related to the notion of tolerance with non-Muslims is scrutinized.

Keywords: Tolerance, non-Muslims, freedom, compassion, coexistence.

Abstrak

Kajian ini menerokai pelbagai bentuk toleransi Islam dengan bukan Islam. Penyelidik menggunakan kaedah-kaedah induktif dan analisis untuk memahami ayat-ayat Al-Quran, hadis-hadis sahih, ulasan dan pandangan golongan intelek yang berpengalaman dalam bidang ini untuk memperkenalkan aspek-aspek toleransi tersebut. Kajian ini mendapati bahawa toleransi Islam dengan bukan Islam adalah didasari oleh satu prinsip yang bertepatan dengan *Sharīʿah*. Antara prinsip tersebut adalah: Kebebasan beragama, kesederhanaan, pemansuhan sistem kasta dan perkauman, belas kasihan komprehensif, pemenuhan perjanjian, dan kewujudan bersama serta bimbingan. Dalam kajian ini, prinsip-prinsip ini dan kaitannya dengan teleransi bukan Islam akan dijelaskan secara terperinci dan diteliti dengan mendalam.

Kata Kunci: Toleransi, Bukan Islam, Kebebasan, Belas Kasihan, Hidup Bersama.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الأمين ﷺ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد!

التسامح الإسلامي: هو التعامل مع الغير بسهولة، ومنح الحرية للآخرين بممارسة عقائدهم وشعائرهم مع عدم اعتقاد المسلمين بها، وعدم إكراههم على الدين، وبذل الجود والبر معهم، وكلُّ ذلك حسب الضوابط الشرعية، ودون إفراط ولا تفريط، وهو من أهم المصطلحات التي يرددها الناس كثيرًا في واقعنا المعاصر، فكل واحد يسعى لإثباتها لنفسه، ونفيها عن غيره، وفي هذه الأثناء نرى أن التركيز على عدم التسامح في الإسلام تصاعد في الآونة الأخيرة، من جهة المناوئين له، وذلك بالطعن فيه، وكذلك من جهة بعض المنتسبين إليه، بتضييق دائرته على غير المسلمين، هذا مع أن الإسلام يمتلك مبادئ وخصائص برزت فيه ملامح التسامح، وسميت تلك المبادئ بمظاهر التسامح في الإسلام، فجعلت شرائعه وتعاليمه متسمةً بسمة السماحة، وقد عكست هذه المظاهر عمليًا في سلوك المسلمين، وتعاملهم مع غيرهم من أهل الملل المختلفة منذ عصر الرسالة وإلى يومنا هذا، بحيث جعلهم متسامحين معهم، وظلوا يعيشون معهم في إطار السلطة الإسلامية بسلام وأمان، وهذه المظاهر هي:

أولاً: حرية العقيدة

تعد حرية الإنسان في العقيدة مظهرًا من مظاهر التسامح الإسلامي، وهي أيضًا من أبرز القيم، ومقصد من مقاصد الشريعة[1]، لذلك فإن الإسلام كفل للإنسان حق الحرية في التدين والعقيدة، فلكل واحد الحق في اختيار دينه ومذهبه، فالله سبحانه وتعالى بين طريق الحق وأرشد الناس إليه، ومع ذلك أعطى الحرية والإرادة للناس لاختيار ما يحبون وما يريدون: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف:٢٩]، وأما محاسبة الكفار على كفرهم ومعاقبتهم فإنها موكولة إلى الله تعالى:

[1] انظر: طه جابر العلواني، **لا إكراه في الدين، إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم**، (القاهرة: مكتبة الشروق، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٩٠.

﴿**إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَاب**﴾ [الرعد:٤٠]، ويشير العلواني إلى هذه الحقيقة، فيقول: "إن حرية العقيدة في القرآن أحيطت بسائر الضمانات القرآنية التي جعلت فيها حرية مطلقة لا تحدها حدود مادامت في إطار حرية اختيار المعتقد، وأن الحساب عليها خاص بالله –جلّ شأنه– لا يجاوزه إلى سواه"[٢].

ولا يجوز لأحد أن يجبر غيره على قبول الإسلام، لأن الإيمان النافع عند الله هو إقرار القلب ثم تصديق اللسان والقلب، والإنسان المكره على دينه لايقر بقلبه، فيصير بذلك منافقًا، ولا شك أن المنافق أشرّ من الكافر، فالعقيدة الصحيحة لا تتأسس ولا تبنى إلا على الحرية والاختيار، ولهذا لا يعتد بإيمان المكره ولا بكفره، وإن أوضح آية في القرآن الكريم في هذا المجال والذي يعتبره العلماء أساسًا ومبنىً لحق حرية العقيدة في الإسلام هو قوله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة:٢٥٦]، فإن الله سبحانه أراد بالآية كما يقول أهل التفسير نفي الإكراه على الدخول في الإسلام، لأنه واضح وإن دلائله وبراهينه جلي، فلا يحتاج إلى إكراه، وإن الذي هداه الله للإسلام دخل فيه على بينة، ومن دخله مكرهًا مقسورًا فلا يفيده الدخول فيه، وهذا الحكم عام لجميع الناس، ولا عبرة بنزوله على فئة معينة[٣].

فالإسلام لا يفرض نفسه على الناس ليكون الدين الوحيد في العالم، إذ القرآن يرشدنا إلى أن أية محاولة لفرض ديانة ما لتكون الوحيدة في الأرض هي محاولة فاشلة، وهي مواجهة مع إرادة الله والسنن الكونية، لأنه لو شاء الله تعالى لجعل الناس أمة واحدة، كما صرح بذلك في القرآن الكريم: ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ [هود:١١٨]، وبين أن الهداية وإدخال الإيمان في قلب الناس لا يكون بالمحبة والقرب،

---

[٢] العلواني، **لا إكراه في الدين**، ص٩٤.

[٣] إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، القرشي، الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق:محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ)ج١، ص٥٢١.

وإنما هو منوط بمشيئة الله: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين**﴾ [القصص:٥٦].

وقد طبق المسلمون هذا المبدأ عمليًا في ظل سيادة السلطة الإسلامية، ولا تزال الكنائس والأديرة والمعابد قائمة للعبادة، فإن هذه الكنائس والمعابد التي نراها الآن في الدول الإسلامية بناء بعضها يرجع إلى ما قبل الإسلام، وبقيت عامرة أيام الحكم الإسلامي وإلى يومنا هذا، فهذا يعد دليلاً محسوسًا على حرية العقيدة في ظل الحكم الإسلامي، فالإسلام لم يفرض على النصراني أن يترك دينه، ولا على اليهودي أن يترك دينه، بل طلب منهما أن يدعا الإسلام وشأنه، ولا يمنعا الناس من الدخول فيه، فالإسلام لا يمنع الإنسان أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا، ولكن يمنعه أن يكون عدوًا لرسالة الإسلام، ونبيّه، وأتباعه، فإن الحرية الدينية التي ضمنها الإسلام للناس لا يعرف لها نظير على وجه الأرض، ولم يحدث أن انفرد دين بالحكم، وأعطى مخالفيه في العقيدة جميع أسباب الدوام والازدهار مثل ما فعل الإسلام[٤].

إن حرية العقيدة في الإسلام مظهر من مظاهر التسامح في الإسلام، ويتبين ذلك في أن سمح الله للإنسان أن يعتقد مايراه، ويأمر المسلمين بأن يتركوا مخالفيهم وما يدينون، وفي ظل هذه الحرية يسود الأمن والسلام في المجتمع، ويتمتع الناس بحقوقهم العقدية.

ثانيًا: الوسطية

الوسطية مظهر من مظاهر التسامح، وهي من خصائص الإسلام ومميزاته، ومعنى الوسطية هو: الاعتدال بين الإفراط والتفريط، والعدل والخيار في الأمور، فالأمة

---

[٤] **انظر**: محمد الغزالي، **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**، (القاهرة، نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٥م)، ص٧٤-٧٥.

الإسلامية أمة معتدلة في شريعتها، ومبادئها، وقيمها، أمة الصراط المستقيم، ومنهج الاعتدال، ولقد وصف القرآن هذه الأمة بالوسط، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة:١٤٣]، فإن الله سبحانه يمن علينا، ويقول لنا أيها المسلمون فكما هديناكم إلى دين الإسلام، وحولناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم، فكذلك جعلناكم خيارًا عدولًا، فأنتم أمة الخيار والوسط في الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط، سواء كان في شأن الدين أو الدنيا، وبلا غلو في دينكم، ولا تقصير منكم في واجباتكم، فأنتم لستم كاليهود والمشركين في تفضيلهم المادة على الروح، ولا كالنصارى في تفضيلهم الروح على المادة، وإنما المسلم الحق يجمع بين الحقّين: حقّ الجسد وحقّ الروح، ولم يهملهما، تمشيا مع الفطرة الإنسانية القائمة على أن الإنسان جسد وروح[٥]، فهذا هو معنى الوسطية في الإسلام.

هناك ملحد ينكر الإله البتة، ومؤمن من أهل الأديان المختلفة، له تصور خاطيء للإله، فيصف الإله بما لا يليق به، ويسلبه عن صفاته الكاملة، وجاء الإسلام بالشرائع السهلة الميسرة المطاقة للإنسان، ورفع عنهم الآصار والأغلال التي كانت عليه، بخلاف الأمم السابقة التي كلّفوا بتكاليف صعبة وخارجة عن طاقتهم، والذين لا يقرون بأي تكليف عليهم، ويرون أن الحياة الدنيا هي كل شيء، ولا حساب بعد الموت، فجاء الإسلام ليكون وسطًا بين هذا التفريط وذاك الإفراط، فشرع أحكامًا سهلة للإنسان؛ ليتمثل لها ويكون له ذخرًا لما بعد موته، فهو وسط بين الرهبانية التي لا تؤمن بالتمتع بملذات الدنيا، وبين الدنيوية التي تغرق وتلهو فيما تشتهيه نفسه في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**﴾ [الجاثية:٢٤]، لقد جمع الإسلام بين الدنيا والآخرة، وجعل الأولى مزرعة للثانية، وبين لنا

---

[٥] وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاصر،ط٢، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص٩.

بأنه لا تضاد ولا عداوة بينهما، بل أمر الله نبيّه ﷺ بأخذ نصيبه من الدنيا مع ابتغاء الآخرة: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص:٧٧]، وتظهر وسطية الإسلام في كونه دين الفطرة، حيث راعى في أحكامه العقدية، والعملية، والخلقية، إنسانية الإنسان، فشرع له ما يلائم جانبيه الروحي والجسمي، ولا يضر بجانب على حساب الآخر، وكذلك يراعي الميول والرغبات البشرية للإنسان، فأباح له ما يرغبه، ووضع له قواعد وضوابط ليسير عليها في هذا المجال.

فالوسطية مظهر من مظاهر دين الإسلام، وهي التي تجعل أحكام الإسلام متوازنة، ومتكاملة، وبالتالي هي الكفيلة بالتسامح مع غير المسلمين؛ لأن هذا التوسط والاعتدال ليس خاصًا بالأحكام الموجهة للمسلمين فقط، بل في جميع أحكام الإسلام، ومع الناس كافة، بل العدل والاعتدال والتوسط يكون في سلوك الإنسان، وفي معاملته لغيره، وتوسط الإنسان واعتداله في تصوره عن نفسه، وحكمه عليها، يحكم في الغالب تصوره عن غيره وحكمه عليه[٦].

ثالثًا: إلغاء الطبقية والتمييز العنصري

إن محاربة الإنسان للطبقية والتمييز العنصري تعد من أهم مظاهر التسامح الإسلامي، لقد قاوم الإسلام الطبقية منذ أول البعثة، وبنى المجتمع البشري على أساس عالمي لا يعتمد على الحدود الجغرافية، بل جعله مجتمعًا للناس كافة بغض النظر إلى جنسهم، أو لونهم، أو لغتهم، أو دينهم، فالإسلام ينهى عن النعرات الجنسية والعنصرية، ويرجّع البشرية كلها إلى أصل واحد، ويقرر أنه لافضل لجنس منها على جنس آخر، وأن اختلافهم في الألوان واللغات لا يدل على أفضلية ولا ميزة، بل الميزان الوحيد للأفضلية

[٦] انظر: صالح بن عبدالرحمن الحصين، **التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب**، (الرياض: جامعة الملك سعود، د.ط، ١٤٢٩هـ)، ص٦٤.

هو تقوى الله، والعمل الصالح، وهذه أمور شخصية، ولا علاقة لها بالأجناس والألوان واللّغات[٧].

ولقد أقر الإسلام مبادئ لتحقيق المساواة بين الناس، وإبعاد الناس عن الطبقية والعنصرية، وهذه المبادئ هي، الوحدة الإنسانية، والكرامة الإنسانية، والتعاون بين بني البشر، وحرية التدين، فالوحدة الإنسانية يصرح بها القرآن في قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير**﴾ [الحجرات:١٣]، فالقرآن الكريم يوحي بأن الناس أمة واحدة في أصلهم، وفي تكوينهم، وأن اختلافهم في قبائلهم وشعوبهم وأجناسهم، لا يلزم العداوة والنزاع بينهم، ذلك لأن الاختلاف للتعارف لا للتناكر، فالإسلام ينظر إلى البشرية من زاوية واحدة بغض النظر عن فروقهم الشخصية من الذكورة والأنوثة، والبياض والسواد، وغيرها[٨]، يقول النبي ﷺ: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ليس لعربي على عجمي فضل» ، قال عبد الوهاب -الراوي-: أحسبه قال: إلا بتقوى الله عز وجل، ألا هل بلغت؟ " قالوا: نعم، قال: «فليبلغ الشاهد الغائب»[٩].

أما الكرامة الإنسانية فإنها متمثلة في جعل الإنسان خليفة في الأرض، واستعداده عقليًا وبدنيًا لإعمارها، وتعليمه كيفية معرفة الأشياء، وطرق الانتفاع منها,

---

[٧] انظر: سيد قطب، **نحو مجتمع إسلامي**، (القاهرة: دار الشروق، ط١٠، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٩٢.

[٨] انظر: عبدالمنعم أحمد بركة، **الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث** (أسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص٦٥.

[٩] الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي المعروف بابن أبي أسامة، **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، المنتقي: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، (المدينة المنورة: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، باب التبليغ، رقم الحديث:٥١، ج١، ص١٩٣. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤١٢هـ)، ج٣، ص٥٨٦.

كما بيّن ذلك القرآن الكريم في سورة البقرة[١٠]، ثم إكرام الجنس البشري قاطبًة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾ [الإسراء:٧٠]، وهذه الكرامة لجنس الإنسان، لا لأشخاص، وعناصر، وقبائل معينة.

ثمّ إن الوحدة الإنسانية والكرامة الإنسانية تقتضيان التعاون بين بني البشر جميعًا، لذلك أقر الشارع مبدأ التعاون بين بني الإنسان وأمر به ليحس الناس بالمساواة، ويبتعدوا عن نزعات العنصرية والطبقية، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة:٢].

ومبدأ حرية التدين الذي أقره الإسلام هو أيضًا من المبادئ المهمة والمؤثرة في مواجهة الطبقية والعنصرية، ذلك لأن الإسلام يربّي المسلمين على إعطاء المجال للآخرين باعتناق دين آخر غير دينهم، وعلى السماح لهم بإقامة شعائرهم الخاصة المخالفة لشعائر المسلمين، فهذه التربية تورث التسامح، ولا تبقي للتعصب في نفس المؤمن محلاً. فهذه المبادئ الأربعة كفيلة بإلغاء الطبقية والعنصرية في المجتمع.

ومع إقرار هذه المبادئ، فقد نهى النبي ﷺ عن التفاخر بالآباء في قوله: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»[١١]، وعندما عيّر أبو ذر رضي الله عنه أحد الصحابة بلون أمه، قال له النبي ﷺ : «إنك امرؤ فيك جاهلية»[١٢].

---

[١٠] الآيات ٣٠-٣٢.

[١١] أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، مسند أبي هريرة، رقم الحديث:٨٧٣٦، ج١٤، ص٣٤٩، وسليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد

وحينما قال الصحابي الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، من باب الحمية والعصبية، قال النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة»[١٣].

فإن هذه الأحاديث إنما تدل على النهي عن العنصرية، والفخر، سواء كان بالآباء، أو بالعشيرة، أو باللون، ووصف ذلك بالجاهلية، والعصبية، وبأنه ذو رائحة كريهة.

إن فقدان الطبقية بين المسلمين كان سببًا للهدوء الداخلي الذي شهده العصور الأولى لحكم المسلمين حسب ما يراه المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون، حيث يقول: "إن العرب–المسلمين– يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقًا لنظمهم السياسية، وأن مبدأ المساواة الذي أعلن في أوروبا قولاً، لا فعلاً، راسخ في طبائع الشرق –المسلمين– رسوخًا تامًا، وأنه لا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التي أدت إلى أعنف الثورات في الغرب ولا يزال تؤدي، وأنه ليس من الصعب أن ترى في الشرق خادمًا زوجًا لابنة سيده، وأن ترى أُجَراء منهم قد أصبحوا من الأعيان"[١٤].

ومما سبق تبين للباحث أنه لا مكان للعنصرية في الإسلام، وأن الإسلام عالج هذه المشكلة، وحاربها بوسائل شتى، وأن إلغاء العنصرية مظهر من مظاهر التسامح

(بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت)، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، رقم الحديث:٥١١٦، ج٤، ص٣٣١.

[١٢] محمد بن إسماعيل، أبوعبدالله، البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق: مصطفى ديب البغا (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، رقم الحديث:٣٠، ج١، ص١٥.

[١٣] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب قوله:{سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين}، رقم الحديث:٤٩٠٥، ج٦، ص١٥٤، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر وصلة الرحم، باب نصر الأخ ظالما أو مظلومًا، رقم الحديث:٢٥٨٤، ج٤، ص١٩٩٨.

[١٤] غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر (القاهرة: مؤسسة هنداوي، د.ط، ٢٠١٢م)، ص٤٠٤.

الإسلامي، إذ هو أحد الأسباب التي تجعل المسلمين يتعاملون فيما بينهم، ومع غيرهم من أهل الأديان والملل بتسامح ورفق، ولا يفضلون عليهم أنفسهم، ولا جنسهم، ولا لغتهم.

رابعًا: الرحمة الواسعة

إن الرحمة مبدأ من مبادئ الإسلام وإحدى خصائصه، وهي أيضًا تعد مظهرًا من مظاهر التسامح الإسلامي، ولا معنى للتسامح بدون رحمة، ولذلك فإن الله قضى بأنه رحيم بمخلوقاته، قال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام:٥٤]، واشتق لذاته أسماءً وصفاتًا من معاني الرحمة، وهي (الرحمن، الرحيم، الرؤوف، اللطيف)، إذ كلها توحي بمعنى الرحمة، ولهذه الصفات أثر بالغ في تشريع أحكام الإسلام، والرسول ﷺ بُعث رحمةً للخلق جميعًا، والرحمة الربانية ليست مقتصرة على المسلمين فقط، بل هي واسعة لجميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف:١٥٦]، وفي تفسير هذه الآية يرى السعدي: أن هذه الرحمة تشمل البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه الرحمة، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها:{فسأكتبها للذين يتقون}المعاصي، صغارها وكبارها[١٥].

قد يؤكد الرسول ﷺ على الرحمة فيما بين الناس فيقول: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[١٦]، وعلى مطلق الرحمة فيقول: «من لا يرحم لا يرحم»[١٧]، يقول ابن حجر

---

[١٥] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج١، ص٣٠٥.

[١٦] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى:{قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى}، رقم الحديث:٧٣٧٦، ج٩، ص١١٥، ، ومسلم بن الحجاج، أبو الحسن ،القشيري،

العسقلاني: "قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب"[١٨]، فدلت هذه النصوص الآنفة الذكر على أن رحمة الله شاملة وواسعة لجميع المخلوقات، والسبب في ذلك أن وجود معنى الحيوانية في الشيء سواء كان إنسانًا أم حيوانًا أمر يدعو للرحمة، ولذلك حينما سئل رسول الله ﷺ: وإن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: «نعم، في كل ذات كبد رطبة أجر»[١٩]، ولا شك أن دواعي الرحمة في الإنسان آكد من الحيوان[٢٠]، والكافر يحتاج إلى مزيد من الرحمة والرأفة؛ كونه مبتلى، والمبتلى لا يتعالى عليه، بل الإسلام يوجب على المسلمين أن يرحموه، ويوجهوا النصح إليه، ويدعوه إلى الطريق المستقيم؛ كي يسعدوه في الدارين، وهذا يعد من أعلى درجات الرحمة، فالمسلم يحب الهداية للكافر، ولذلك أنه لما قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة»[٢١].

النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم الحديث:٢٣١٩، ج٤، ص١٨٠٩.

[١٧] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث:٦٠١٣، ج٨، ص١٠، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم الحديث: ٢٣١٨، ج٤، ص١٨٠٨.

[١٨] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ)، ج١٠، ص٤٤٠.

[١٩] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث:٦٠٠٩، ج٨، ص٩، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم الحديث:٢٢٤٤، ج٤، ص١٧٦١.

[٢٠] انظر، عبدالله بن إبراهيم الطريقي، **التعامل مع غير المسلمين، أصول معاملتهم–واستعمالهم، دراسة فقهية** (الرياض: دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص١٣.

[٢١] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر وصلة الرحم، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث:٢٥٩٩، ج٤، ص٢٠٠٦.

فإن رحمة الإسلام مع غير المسلمين، فاقت التعايش، والاحترام المتبادل، والعدل، والإحسان، والبر، وهذه الرحمة ليست شعارًا محضًا، وإنما هي قانون من قوانين التعامل مع الغير الذي يجب الالتزام به واتباعه[٢٢].

من خلال ماسبق تبين للباحث أن الرحمة مبدأ ثابت في الإسلام، وأنها واسعة لكل شيء، وعامة لجميع المخلوقات، وأنها مظهر من مظاهر التسامح الإسلامي مع غير المسلمين، إذ هي تشجع المسلمين على العفو والصفح، بل على البر والإحسان تجاه الناس، بغض النظر عن معتقدهم الديني، ومذهبهم الفكري، وإن هذه الرحمة تتجاوز الإنسان إلى الحيوانات والطيور، وهذه ميزة الإسلام لا يشاركه فيها دين آخر.

خامسًا: الوفاء بالعهود والمواثيق

إن من مظاهر التسامح في الإسلام هو الوفاء والالتزام بالعهود والمواثيق التي تعقد بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل والأديان، هذا فضلاً عن العقود المبرمة بين المسلمين فيما بينهم، وهذا أيضًا مبدأ من مبادئ الإسلام، وسمة من سماته، فالقرآن يخبرنا بحال اليهود والنصارى مع العهود، ووصفهم في مقام الذم بأنهم يبدلون عهد الله، وأيمانهم بثمن قليل، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم**﴾ [آل عمران:٧٧]، والإسلام يسعى لتحقيق السلم في المجتمع، وإبعاد الفوضى والفساد عن البلاد، وإن من الوسائل المهمة والمؤثرة لتحقيق ذلك هو إبرام العقود والمواثيق مع المخالفين، ثم الالتزام بمحتواها، وعدم نقضها، والبعد عن المكر

---

[٢٢] انظر: راغب الحنفي السرجاني، **الرحمة في حياة الرسول** ﷺ (الرياض: رابطة العالم الإسلامي، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠١م)، ص٢٣١.

والخداع فيها، لأن ذلك مخالف للفطرة الإنسانية، والعقل السليم، ويعتبره الشرع علامةً من علامات النفاق.

ومما يدل على وجوب الوفاء بالعهود، وحرمة نقضها، قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُون﴾ [النحل:٩١]، فإن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بالوفاء بميثاق الله وعهده، الذي يوجب عليكم الحق لمن عاهدتموه، ويدخل في ذلك كل عهد يلتزمه الإنسان باختياره فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه وواثقتموه عليه، ويدخل فى ذلك كل عهد يلتزمه باختياره[٢٣]، ويشير القرآن إلى أن نقض العهد يجلب اللعنة الإلهية: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار﴾ [الرعد:٢٥]، ويعد الغدر بالعهد خصلة من خصال النفاق، كما يقول الرسول ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[٢٤].

وهذه الألفاظ عامة لجميع ما عقده الإنسان بلسانه والتزمه، من بيع، أو صلة، أو ميثاق في أمر موافق للدين، ومع أي شخص كان مسلمًا أم غير مسلم، فالالتزام والوفاء مطلوب شرعًا ويجب التمسك به[٢٥].

---

[٢٣] أحمد بن مصطفى المراغي، **تفسير المراغي** (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، ج١٤، ص١٣٣.

[٢٤] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم الحديث:٣٤، ج١، ص١٦، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم الحديث:٥٨، ج١، ص٧٨.

[٢٥] انظر: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، أبو عبد الله، شمس الدين، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)،، ج١٠، ص١٦٩.

والإسلام لا يسمح للمسلمين بمناصرة إخوانهم المسلمين حينما يتقاتلون مع من كان بينهما عهد وميثاق، هذا مع أن مناصرة وموالاة المسلمين على الكافرين واجبة شرعًا، إلا أن العهد مانع من الالتزام بهذا الواجب، قال تعالى: ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ**﴾ [الأنفال:٧٢]، فمعنى الآية: إذا طلب المسلمون الذين لم يهاجروا إلى المدينة أن تنصروهم على المشركين، فيجب عليكم النصرة، إلا إذا استنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تنصروهم، ولا تنقضوا العهد حتى تنقضي مدته[٢٦]، وإذا خاف المسلم الخيانة من جهة عدوه الذي عاهد معه فلا يبتدئه بالقتال بمجرد إحساسه وخوفه منه، بل يُردّ إليه عهده أولاً؛ ليعلم الكافر أن العهد انتهى، ولا يأمن من الحرب عليه، ثم له أن يقاتله، لأن الله لا يحب الخيانة حتى مع الكافر، قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ**﴾ [الأنفال:٥٨].

وإن قيل كيف يكون الجمع بين الأمر بالوفاء بالعهد وبين قول الرسول ﷺ: «الحرب خدعة»؟[٢٧] فإذا كان الحرب خدعة، فهل للمسلم أن يفعل تجاه عدوه ما يشاء، وما في وسعه؟ وللجواب على هذا نقول: إن الخدعة تكون مع الكفار الذين لا عهد معهم، ويكون في حالة الحرب، أمّا إذا كان هناك أمان وعهد فلا يجوز الخداع، كما اتفق على ذلك العلماء[٢٨].

---

[٢٦] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، الشوكاني، اليمني، **فتح القدير** (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص٣٧٥.

[٢٧] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد، باب الرب خدعة، رقم الحديث:٣٠٣٠، ج٤، ص٦٤، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، رقم الحديث:١٧٣٩، ج٣، ص١٣٦١.

[٢٨] انظر: محيي الدين يحيى بن شرف، أبو زكريا، النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (بيروت: دار إحياء التراث العربي،ط٢، ١٣٩٢هـ)، ج١٢، ص٤٥.

وقد استنتج الباحث أن الوفاء بالعهود والمواثيق، خصلة إسلامية، ومظهر من مظاهر التسامح الإسلامي، حيث يساعد على التعايش بين المسلمين وغيرهم بأمن وسلام، ويُطَمئِنُ غير المسلمين من ملاحقتهم من قبل المسلمين، وهذا الوفاء واجب شرعي، ونقضها علامة من علامات النفاق.

سادسًا: الاختلاط والمعايشة

إن الله خلق الإنسان، وجعلهم شعوبًا وقبائل، وكان من إرادته أن يكونوا مختلفين في الأديان والمذاهب، وهو فطرهم على المدنية والاختلاط، حيث أن الاختلاف في الأجناس للتعارف لا للتنافر، وقد رغب الإسلام في الاختلاط والتعايش مع المسلمين وغير المسلمين، لغرض الدعوة، وغيرها من الأغراض، إذ الدعوة واجبة، ولايمكن أداء هذا الواجب إلا بمخالطة المدعوين، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويقول الرسول ﷺ: «المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[٢٩]، فهذا الحديث يبين لنا أن المسلم الذي يتعايش مع الناس، يدعوهم ويصبر على أذيتهم له خير عند الله من المسلم المنعزل الذي لا يبالي بمجتمعه، لا يدعوهم، ولا يصبر عليهم، وإن الحياة العملية للنبي ﷺ وأصحابه الكرام

---

[٢٩] محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي، أبو عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث:٢٥٠٧، ج٤، ص٦٦٢، ومحمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم الحديث:٤٠٣٢، ج٢، ص١٣٣٨، قال الألباني: السند صحيح كلهم ثقات، محمد ناصرالدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، رقم الحديث:٩٣٩، ج٢، ص٦١٤-٦١٥.

رضي الله عنهم عامرة بأمثلة اختلاطهم مع الناس، بغية دعوتهم إلى الله، وإبلاغهم ما يتنزل من الوحي.

ولم يقتصر هدف الاختلاط مع غير المسلمين على دعوتهم فقط، بل كانوا يخالطونهم ويجالسونهم لأغراض أخرى، مثل البيع والشراء، والمصالح المشتركة، واستقبال وفودهم وسفراءهم[٣٠]، والأدلة على ذلك كثيرة، منها: «أعطى رسول الله ﷺ خيبر اليهود، أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها»[٣١]، وروي عن عائشة، أنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعا من شعير».[٣٢]

قال ابن حجر: "وفي الحديث جواز معاملة الكفار فيما لم يتحقق تحريم عين المتعامل فيه، وعدم الاعتبار بفساد معتقدهم ومعاملاتهم فيما بينهم، واستنبط منه جواز معاملة من أكثر ماله حرام"[٣٣]، ولا يخفى أن هذه المعاملة والمشاركة لا تتم إلا بالاختلاط والمجالسة.

وقد أجاز الإسلام للمسلمين أكل طعام أهل الكتاب، ونكاح نسائهم، ولا شك أن الأكل والزواج معهم من أقوى درجات الاختلاط، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخدان﴾ [المائدة:٥]، وورد في السنة الصحيحة أن المعايشة مع غير المسلمين تجاوزت المعاملة، والاختلاط الاجتماعي، ووصلت إلى أن

---

[٣٠] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٦، ص١٢-١٣.

[٣١] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشركة، باب باب مشاركة الذمي والمشركين في المزارعة، رقم الحديث:٢٤٩٩، ج٣، ص١٤٠.

[٣٢] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم، والقميص في الحرب، رقم الحديث،٢٩١٦، ج٤، ص٤١.

[٣٣] العسقلاني، **فتح الباري**، ج٥، ص١٤١.

أجاز لهم الشارع إهداءهم وقبول هديتهم، عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: "رأى عمر حلة على رجل تباع، فقال للنبي ﷺ: ابتع هذه الحلة تلبسها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوفد؟ فقال: «إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة»، فأتي رسول ﷺ منها، بحلل، فأرسل إلى عمر منها بحلة، فقال عمر: كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال: «إني لم أكسكها لتلبسها، تبيعها، أو تكسوها»، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم"[٣٤]، «وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ، بغلة بيضاء، وكساه بردا وكتب له ببحرهم»[٣٥].

وهناك أحاديث تفيد بأن النبي ﷺ نهى عن قبول هدية المشركين، والصحيح أن النهي محمول على ما إذا كانت الهدية بنية التقرب والحصول على جاه ومسؤولية، وإحقاق الباطل، وإبطال الحق، والمحبة والموالاة، أما إذا أريد بها تحقيق مصلحة شرعية كالدعوة إلى الله، وغيرها، فلا بأس بقبولها، للأحاديث الصحيحة الصريحة التي مرت ذكرها، والله أعلم[٣٦].

وقد وضع الإسلام ضوابط لمخالطة غير المسلمين ينبغي مراعاتها، وهي خلوها من المنكر الظاهر، كسبّ النبي ﷺ وأصحابه، والاستهزاء بالإسلام، أو وجود الخمر

---

[٣٤] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، رقم الحديث:٢٦١٩، ج٣، ص١٦٤، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع، رقم الحديث:٢٠٦٨، ج٣، ص١٦٣٨.

[٣٥] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب خرص الثمر، رقم الحديث:١٤٨١، ج٢، ص١٢٥، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، رقم الحديث:١٣٩٢، ج٤، ص١٧٨٥.

[٣٦] انظر: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج٥، ص١٦٦-١٦٧.

والميسر، وألّا يؤدي الاختلاط إلى المحبة والموالاة والملازمة، وأن يكون المسلم قادرًا على إظهار دينه[٣٧].

وبهذا تبين أن الاختلاط مع الغير مظهر من مظاهر التسامح في الإسلام، وكان له الأثر البالغ في التعايش السلمي، والتسامح بين المسلمين وغيرهم على مرّ القرون وإلى يومنا هذا، إذ هو يشجع المسلمين إلى التقرب من الكفار لغرض دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والاختلاط معهم على المستوى السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي.

سابعًا: الهداية

لقد حرص الإسلام على هداية الناس، وإنقاذهم من الضلالة إلى الهدى، ومن النار إلى جنات الخلد، حتى عرف الإسلام بأنه دين هداية، وهذه الميزة للإسلام مظهر من مظاهر تسامحه مع غير المسلمين، وذلك لأن الإسلام يربي المسلمين على إرادة الخير لغير المسلمين، فطالبهم بهداية الناس وإرشادهم بدل تضليلهم وتنفيرهم، وجعل القيام بمهمة الدعوة واجبًا شرعيًا ثبت بنصوص القرآن والسنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين**﴾ [النحل:١٢٥]، ففي هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى بالدعوة لهداية الناس، وبين أسلوبها، وهو أن يكون بالحكمة والوجه الأحسن، كما أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون بهذه الطريقة الحسنة، وهو القول الليّن، وفي هذا عبرة عظيمة، حيث أمر الله تعالى بمخاطبة فرعون بالملاطفة واللين، مع أنه كان في غاية العتو والاستكبار[٣٨].

---

[٣٧] انظر: الطريقي، **التعامل مع غير المسلمين، أصول معاملتهم–واستعمالهم، دراسة فقهية**، ص٣٢-٣٣.

[٣٨] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص٢٦٠.

ولقد حرص النبي ﷺ أشد الحرص على هداية الناس، حتى أنه كان يغتمّ كثيرًا حينما يراهم لا يؤمنون، والله سبحانه يواسيه ويقول: ﴿**فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [فاطر:٨]، وإنه كان حريصًا على هداية الصغار قبل الكبار، فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[٣٩]، فحمد الله على نجاحه في دعوة هذا الغلام للهداية، وإنقاذه من عذاب جهنم، وقد كان الرسول ﷺ يعرض الهداية على أعدائه في أوقات الحرب والقتال، ويوصي أصحابه بدعوتهم إلى الإسلام قبل مقاتلتهم، ويُرَغِّبهم بفضل هداية الناس إلى الإسلام، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب». فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه». فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٤٠]، وكان موقف النبي ﷺ مع كفار طائف، وحرصه على هدايتهم في حين هم

---

[٣٩] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث:١٣٥٦، ج٢، ص٩٤.

[٤٠] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم الحديث:٤٢١٠، ج٥، ص١٣٤، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم الحديث:٢٤٠٦، ج٤، ص١٨٧٢.

ضربوه وأدموه، من أرقى نماذج التسامح في تاريخ البشرية، حيث رفض طلب ملائكة الجبال بإبادتهم، وقال مقولته المشهورة: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا»[٤١].

ولأهمية الهداية، فإن رسول الله ﷺ كان يخاطب رؤساء الكفار من أهل الكتاب والمشركين بألفاظ التعظيم والتبجيل لترغيبهم إلى الإسلام، كما قال لهرقل عظيم الروم، ويدعو للكفار بالهداية، وأن البخاري رحمه الله بوّب بابًا وسمّاه: (باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم)، وكان يكرم الوفود والسفراء، ويتلطف بهم لغرض الهداية، كما صنع ذلك مع وفد نصارى نجران وغيرهم، حتى أنه سمح لهم بالصلاة في المسجد[٤٢]، فهذه الآيات والأحاديث وغيرها كثيرة، تدل على حرص الإسلام على هداية الناس، وإقناعهم بالتسليم القلبي للأوامر الإلهية ونواهيه، وإبعادهم عن الضلالة واتباع النفس والشيطان، وقد يسلك الإسلام لهذه المهمة مسالك شتى كلها ترجع إلى الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وهذه الخصوصية للإسلام مظهر من مظاهر تسامحه، حيث يجعل المسلمين دائمًا يريدون الخير لغيرهم، ويطمعون في إنقاذهم من الشقاوة إلى السعادة.

---

[٤١] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم الحديث:٣٢٣١، ج٤، ص١١٥، ومسلم، **صحيح مسلم**، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث:١٧٩٥، ج٣، ص١٤٢٠.

[٤٢] انظر: عبد الباسط بن يوسف الغريب، **تسامح الإسلام مع غير المسلمين، حصر واستقراء النصوص والآثار المتعلقة بتعامل المسلمين مع غيرهم** (بدون معلومات الطبع)، ص١٣٩-١٤٠.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

وفي ختام هذا البحث توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

١- إن الناس أحرار فيما يعتقدون، وهذا مبدأ مقرر في الإسلام، ومظهر من مظاهر تسامحه.

٢- إن الإسلام يراعي في أحكامه الوسطية، وهي التي جعلها متوازنة، ومتكاملة، وجعل أحكامه متسامحة مع غير المسلمين.

٣- إن الإسلام ألغى الطبقية والعنصرية، وحاربها بكل أشكالها.

٤- إن مبدأ الرحمة الواسعة في الإسلام تجاوز المسلم إلى غيره، بل تجاوز الإنسان حتى الحيوان.

٥- إن من لوازم التسامح والتعايش هو الوفاء بالعهود والمواثيق، وهو ما أقره الإسلام، وجعل الالتزام بها واجبًا، ونقضها حرامًا.

٦- حث الإسلام على دعوة غير المسلمين، وتأليف قلوبهم، وهذا يقتضي التعامل معهم بروح التسامح.

المصادر والمراجع

ابن أبي أسامة، الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي. **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**. تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري. المدينة المنورة: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. **سنن ابن ماجه**. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني. **سنن أبي داود**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت.

الألباني، محمد ناصرالدين. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**. الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه– صحيح البخاري–**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. شرح وتعليق: مصطفى ديب البغا. بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

بركة، عبدالمنعم أحمد. **الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة. **سنن الترمذي**. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م.

الحصين، صالح بن عبدالرحمن. **التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب**. الرياض: جامعة الملك سعود، د.ط، ١٤٢٩هـ.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. دمشق: دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ.

السرجاني، راغب الحنفي. **الرحمة في حياة الرسول ﷺ**. الرياض: رابطة العالم الإسلامي، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠١م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

سيد قطب. **نحو مجتمع إسلامي**. القاهرة: دار الشروق، ط١٠، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، **فتح القدير**. دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. **المسند**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

الطريقي، عبدالله بن إبراهيم. **التعامل مع غير المسلمين، أصول معاملتهم–واستعمالهم، دراسة فقهية**. الرياض: دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

العلواني، طه جابر. **لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم**. القاهرة: مكتبة الشروق، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

الغريب، عبد الباسط بن يوسف. **تسامح الإسلام مع غير المسلمين، حصر واستقراء النصوص والآثار المتعلقة بتعامل المسلمين مع غيرهم**. د.م: د.ن، د.ط، د.ت.

الغزالي، محمد. **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**. القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٥م.

القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

لوبون، غوستاف. **حضارة العرب**. ترجمة: عادل زعيتر. القاهرة: مؤسسة هنداوي، د.ط، ٢٠١٢م.

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

المراغي، أحمد بن مصطفى. **تفسير المراغي**. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤١٢هـ.